# خواطر و آراء

# حول ظاهرة الإرهاب

إن كافة المخلصين وفي كل الدول يسعون لترقية أوضاع شعوبهم ورفاهيتها،
وازدهار بلدانهم وتنميتها، يبذلون مختلف الجهود ويجندون كافة الطاقات والموارد، ويسخرونها لما فيه خير وسعادة كافة أفراد المجتمع.

إن كل هذا لا يتأتى لهم مهما كانت النوايا نبيلة إلا في تعايش أخوي واحترام لمتبادل،
وبعبارة أعم في كنف السلم والإستقرار، بعيدا عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو الأجواء أو يضطر بها.

لكن المتتبع لما يقع هنا وهناك عبر مختلف بقاع العالم ليصدم من هول ما يعيشه عالمنا الحاضر من فتن وحروب ودمار وخراب.

إنها أوضاع مؤسفة حقا يندهش الإنسان العاقل لهولها و فضاعتها، و يبقى كل متحضر حائرا لا يدري أي تفسير يعطيه لما يعيشه، و إلى أي مصير تسير نحوه مختلف تلك الأوضاع المتردية.

الأسف كل الأسف أن أغلبية الدول التي مسها هذا الإضطراب هي من الحديثة العهد بالحرية والإستقلال، لم تعرف بعد التطور والتقدم الذي تنعم به دول مثلها، بل لا تزال ترزح تحت أوضاع قبلية شبه بدائية، بحيث يسهل إذكاء كل النعرات وإشعال نيران الفتنة والتقاتل بين أبناء الوطن الواحد فيها، وهذا ما نشاهده في الدول الإفريقية خاصة.

إن هذه الحالات المؤلمة هي كذلك نتاج العهد الطويل للإستعمار الذي جثم على صدر العديد من تلك الدول، لتتمكن بفضل نضال المخلصين من أبناءها من التخلص منه والتحرر بعد كفاح مرير.

فعوض أن تسعى تلكم الدول المستعمرة لرفع الغبن التي تركت فيه المستعمرات، و ما عانت منه من مخلفات سلبية من فقر و جهل و حرمان، فقد عمدت إلى استغلال عناصر الضعف فيها مثل الحمية الدينية والنزعة العرقية و الصراعات القبلية، لتوظفها لما يخدم مخططاتها و يضمن مستقبلها و استدامة السيطرة و بسط نفوذها.

فصرفت الأنظار عما خلفته من دمار وتخلف وتركة ثقيلة إلى ابتكار عناصر للفتنة والتقاتل بين أبناءها.

إنها الحيل والمكائد التي دأب عليها الأعداء المستعمرون للتستر على عيوبهم المخزية، والظهور دوما بوجه براق لكنه كاذب.

ولعل المنحطة من الدسائس هي ما توصل إليه هؤلاء الأعداء من إلحاق أبشع النعوت بالإسلام. فبعد أن قهروه و عملوا على طمسه بكل الوسائل أيام الإستعمار، حاول أبناء المسلمين في تلك الدول الثأر لدينهم فلم يجدوا لذلك سبيلا، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى ما اعتقدوا أنه الأنجع و هو القوة علهم يحققون غايتهم، لكنها انزلقت إلى استعمال السلاح و اعتماد القتل و السيارات المفخخة و غيرها من تخريب و فساد مع الأسف.

إن هذه التصرفات العشوائية أعطت لأعداءهم فرصة ذهبية لنعت محاولتهم تلك بأرذل النعوت،
وهو الإرهاب، مضيفين له صبغة الإسلام. و تلك هي الطامة الكبرى إذ وقعوا في الفخ الذي دبر لهم، فأصبح الإرهاب مرادفا للإسلام وهو من كل ذلك براء، إذ هو دين الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة، و حتى الجدال فيه يجب أن يكون بالتي هي أحسن.

لقد ظهر هكذا ما سمي بالإرهاب وحاول المخططون له إلحاقه بالإسلام في حين أن ما يقوم به هؤلاء هو الإجرام بعينه.

لقد استغلت الدول المسيطرة على العالم حداثة و هشاشة الأوضاع في العديد من الدول الناشئة للتدخل كذلك في شؤونها الداخلية تحت غطاء ذرائع متعددة و مختلفة، كحماية حقوق الإنسان و حماية الأقليات أو تطبيق ما سمي بالدبمقراطية و حرية الرأي و المعتقد، لكن كل ذلك من الدسائس، و ما كان إلا لتبرير للتدخل و محاولة الرجوع للمستعمر القديم تحت غطاء جديد، وجهه الظاهر جذاب لكن الوجه الخفي له أبعاد و مرامي أقل نصحا و إخلاصا.

إن محاولات التدخل هذه هي في الحقيقة كما سبق ذكره عودة مقنعة للمستعمرين القدامى، لمواصلة استغلال خيرات تلك البلدان التي تزخر بها ولا تملك الوسائل إلى ذلك.

فلم تتورع حتى في زج الإخوة في تطاحن وصراع دموي، يأتي على القليل من المنجزات بل ويدمر ما بقي صامدا.

هذا ولم تتوان هذه الدول في تزويد الأطراف المتناحرة بأحدث الأسلحة، إمعانا في استدامة أسباب التوتر والعداوة والتقاتل بين

أبناءها. ومن جهة أخرى هي تسعى لإبقاء هذه البلدان سوقا رائجة لتلك الأسلحة وميدانا فسيحا لتجربتها.

وإن المشاهد المتتبع لما تعرضه الشاشات من صور مؤلمة للصراعات الدامية ليندهش لما يستعرض هنا وهناك من مختلف الأسلحة، خفيفة وثقيلة ومن الذخائر بأنواعها، تجلب أكيدا بعملات صعبة، مما قد يلبي أكثر من حاجة ضرورية لهذه الأطراف المتنازعة والمتناحرة، هي لا شك في حاجة ماسة لها. وهكذا تتضح النوايا الحقيقية لهؤلاء المتدخلين في الشؤون الداخلية لهذه الدول،
وهي البعيدة كل البعد عن التصريحات والمواقف المعلنة.

ولقد بدأت الفوضى تعم وتنتشر شيئا فشيئا والأسلحة تتداول بسرعة فائقة، لتصبح تجارة رائجة، ومصدر أرباح طائلة للكثير من المغامرين والمخربين لمختلف المنجزات، بل ولقد طالت حتى الهامة منها والحساسة.

فلم تسلم من ذلك حتى المدارس والمستشفيات رغم دورها الحيوي والإنساني.

ومع اختلاط الأوضاع فسح المجال لظاهرة خطيرة أيضا وهي المتاجرة بالمخدرات.

فزيادة على كونها الهادمة للصحة والمخربة لعقول الشباب خاصة، فقد أضحت الوسيلة المثلى للربح الطائل و السريع لمن يتخذها وسيلته. و كما هو معلوم فإن مثل هذه النشاطات المحظورة يلجأ أصحابها إلى مختلف الوسائل و بخاصة الأسلحة التي لا يتورعون في استعمالها، ليلتقي الخطير بالأخطر و تعرف ظاهرة الإرهاب الغريبة اتساعا شيئا فشيئا.

إن الإرهاب قد اتخذ من المتاجرة بالمخدرات وسيلة مثلى لاستدراج طوائف من الشباب، وبخاصة أولئك الذين يئنون تحت وطأة الفقر، ويعانون من البطالة والجهل، ويطمعون في تحقيق ربح سريع عله يوفر لهم غدا أفضل.

وهكذا بدأت الفوضى العارمة تعم لتكتوي بنيرانها عديد البلدان، فاهتزت أركانها
وخرب العديد من منشآتها.

فالإرهاب أعمى لا يفرق بين الإنجازات بل وقد يلجأ إلى الأهم منها ضنا منه أنها الضربات الموجعة و القاتلة.

إنه تصدى كذلك لترويع الآمنين وقتل الأبرياء رجالا ونساء وحتى الأطفال دون ذنب يذكر أو هدف إلا لزرع الخوف وقهر الجميع حتى يخضعوا لأهواءهم وتلبية رغباتهم.

إن وطننا الجزائر مثلا قد اكتوى بهذا الإرهاب الهمجي الأعمى لمدة عشر سنوات تقريبا، مع ما خلفه من اغتيال للكفاءات وقتل للأبرياء وسفك للدماء وتخريب للمنشئات، وغير ذلك ما لا يمكن حصره.

و لقد سمى البعض هذه الفترة العصيبة بالحمراء و آخرون بالسوداء إلا أن الأوكد إنها الفوضى، عانت منها مختلف طبقات الشعب ألوانا من التعدي على الأشخاص و الممتلكات مما ضجر منه الجميع، خاصة و أن الدوافع الحقيقية لم تكن بينة، و لا يمكنها تبرير كل الفساد الذي أقدمت عليه تلك العناصر الحاقدة المجرمة.

لقد حاولت هذه التذرع بتوقيف المسار الإنتخابي، إلا أن التصرفات الفوضوية التي طبعت مسيرة من فاز منهم في مرحلة انتخاب المجالس البلدية، وبخاصة التزويرات التي طالت القوائم الإنتخابية، استعدادا للإستحقاقات المقبلة، قد ألجأت السلطات المشرفة على الوطن لاتخاذ المواقف الإحترازية، فاضطرت إلى توقيف المسار الإنتخابي، إذ اكتشفت مدى التلاعب الذي مس الأداة الحساسة والركيزة له.

وبالإضافة لهذا الجانب الهام هناك ما أفصحت عنه بعض المبادرات المرتجلة لهذه الفئة تجاه جوانب من الحياة العامة، من تسرع وعدم نضج في المعاملات، حتى مع بعض الرموز الوطنية، مما لم يستسغه المواطنون بل ضاق منها ذرعا، وهكذا من حاول اقتطاف الثمار قبل الأوان عوقب بالحرمان.

إن المؤسف حقا أن كانت كل هذه التصرفات تُضفى عليها صبغة التوجه الإسلامي، وهذا من جملة ما أعطى صورة سلبية للدين الحنيف.

لقد حاول أعداء الإسلام و المغرضين و بخاصة المستعمرين القدامى كفرنسا و بريطانيا و إيطاليا و على رأسهم المنسق أميريكا، تشويه صورة الإسلام على الدوام، فوجدوا في مثل هذه التجارب الفاشلة، تبعا لمواقفها الفطرة هكذا حجة من الحجج الواهية للتهجم على الإسلام المغلوب على أمره، و التحامل على المسلمين بصفة عامة.

و ما الحملات المسعورة على الحجاب و ما سمي بالبرقع، و كذا اللباس الساتر و غير ذلك من المضايقات، إلا بعض الأوجه الظاهرة للعداء و الكره الذي يضمره أعداء الإسلام لهذا التوجه المعتدل، لو كانوا يفقهون، سواء في الإعتقاد أو السلوكات أو في المجال الإقتصادي حتى.

لقد رأى أعداء الإسلام في هذا الدين خطرا عليهم لما يمثله من قيم عالية ومثل سامية، كانوا يتبجحون بها تحت عناوينهم البراقة والمضللة. فلما بدأت البلدان المستعمرة في العالم المغلوب على أمره تستفيق وتتحرر، وتسعى بإخلاص إلى تجسيد مثل تلك القيم
والمثل باعتناق الإسلام، ومحاولة تطبيق ميداني لما لمسته من خير عميم، لم يستسيغوا منهم تلكم الصحوة وكفاحهم لأجل إحقاق الحقوق.

لقد بدأ هكذا التخطيط لضرب كل محاولة جادة في العديد من الدول. فاختيرت الأسماء و النعوت المختلفة لأية حركة ناشئة تحت أسماء براقة لكنها خادعة، بل دفعت بها إلى ارتكاب الهفوات و الأخطاء، و دوما باسم الإسلام أو منتمية له، حتى تمعن في تسويد صورته الناصعة.

ولقد عشنا الخديعة الأولى باسم "القاعدة" التي لم تقدم للعموم أي تعريف حقيقي لها.

واتخذت لها زعيما "بن لادن"، رجل أعمال استخدمته في تحطيم النفوذ الشيوعي حسب زعمها في أفغانستان، حتى إذا اشتهر و تقوى و نصر من دفع به و دعمه، صيرته بعبعا خطيرا يجب القضاء عليه و على ما يمثله من رمز و هو الإسلام.

ولقد أضحى بعد ذلك رمزا للإرهاب تجب محاربته أينما حل وارتحل، فأصبح الإسلام معه بالطبع محارب ومرادف للإرهاب، وهو الضحية الأولى له في حقيقة الأمر.

ولم تنته هذه الأسطورة الغريبة إلا بالقضاء على ذلكم الزعيم بطريقة هي الأخرى غريبة، وذلك بإلقاءه في البحر حسب زعم القيادة الأميريكية الماكرة.

وهكذا جزاء الخونة اللئام كجزاء سنمار.

و تشاء مناورات خصوم الإسلام الإبتكار من حين لآخر لأسماء و نعوت لكل من يحاول الإتفاضة على أوضاع لم تبق محتملة لديه.

فكانت البداية من العراق الذي حطمه التحالف الحانق، و هو معقل الحضارات و مهد التقدم العلمي.

فاتخذ من عداء قيادته أفضل ذريعة للإنقضاض عليه بكل وسائله الجهنمية، مستعينا ببعض الغاضبين.

و بعد إنجاز ما خططه الأعداء، دونما قرار و لو شكلي من الأمم المتحدة، عمدوا إلى إذلال رمزي بشنق زعيم العراق آنذاك في يوم عيد النحر، و هو أكثر من تحذير، بل و درس بليغ لمن تسوله نفسه بمنازلة

هؤلاء الطغاة المتغطرسين الحاقدين على ما و من يسعى لرفع الرأس أمام الجبابرة العصريين للعالم.

ولعل من السخريات التي يمكن عدها تحديا واستهتارا بالعواطف ما اعتمد من شعار في العلم الوطني الجديد للعراق وهو عبارة "الله أكبر".

ثم يأتي بعد ذلك مسلسل ما سمي بالربيع العربي ليشمل تونس و ليبيا و مصر،
و هو ما أسميته بكل تواضع في مقال سابق بالربيع الخربي، بالنظر إلى النتائج التي تمخض عنها من اضطراب و تدمير و تذمر و عدم استقرار، و لو أن ما وقع في تونس سمي بثورة الياسمين وهي لعمري من تمام الخديعة و السخرية بها.

فلا التجربة التونسية الناجحة نسبيا أعطت كامل نتائجها، ما دام الإرهاب كما سطر له الأعداء قد لحقها و ضرب أحس شرايين اقتصادها و هو السياحة مرتين على الأقل، فتداعت أوضاعها لتبقى شبه مشلولة اقتصاديا، رغم الوعود التي حاول تقديمها من سعى إلى تلطيف الضربات الموجعة و الموجهة لأوضاعها الإقتصادية و الإجتماعية.

أما مصر فقد عرفت تقلبات مثيرة.

فمن انطلاقة شبه ناجحة إلى الإندفاعات و الإنزلاقات التي أتت بعكس النتائج المرجوة من هبة التغيير التي كان في مقدورها تحقيق أحلام الكثير من أنصار الصحوة الإسلامية، لكن الأعداء كانوا لها بالمرصاد. ثم إن التسرع في القطاف كما أشرنا إليه آنفا كان من أبرز العوامل التي عجلت بنهاية تلكم التجربة.

وهكذا تدرجت نحو عودة الأوضاع إلى سالف عهدها، وقد تعرف تعقيدات مخططة لمصر لما لقربها من إسرائيل ربيبة أميريكا والدول الإستعمارية القديمة والمهيمنة على العالم، وما لدور مصر و مكانتها في العالم العربي من آثار و تأثير على عدة أصعدة.

و على ذكر إسرائيل، لا بد من الإشارة إلى المناورات المتعددة و المفتعلة التي تلجأ إليها كلما حاولت أطراف على اختلافها تناول قضية الإحتلال الإسرائيلي لأراضي فلسطين أو التوسعات المتتالية لضم أجزاء من ترابها.

إن إسرائيل مستمرة في خططها الجهنمية حتى تتم بناء جدارها العازل لتقيم دولتها كما رمت إليه.

و لا يتصور أبدا أن تقع أية مفاوضات أو اتصالات جدية مع الفلسطينيين حول أي حل إلا بعد انجاز مخططها بالتمام، و تحصين الجزء الذي تريد بناء دولتها عليه، و هو ما لن يتحقق في الغد القريب مع الأسف.

هذا وإن مصر رغم العناية التي حظيت بها من عدة أطراف مقربة من المتربصين بها لم تسلم من ردود أفعال المناوئين.

فقد ضربها الإرهاب ولا تزال في مقاتل حساسة باستهدافها بضربات موجعة سواء في قطاعها السياحي أو منجزاتها المختلفة.

إن ذلك هو شأن الإرهاب الهمجي الأعمى الذي يوظف حتى من يخربون بيوتهم بأيديهم.

أما ليبيا فلا جديد في الأفق بعد ما عرفته من تحطيم ممنهج وقضاء على قائدها العدو اللدود للمهيمنين على العالم، وبطريقة وحشية من طرف خصومها الذين كانوا بالأمس مستعمريها الثلاث بريطانيا وإيطاليا وفرنسا.

إن أوضاعها لا تزال تزداد تعقيدا وتدهورا وتعفنا.

وإن ما يتهدد ليبيا حقا هو التقسيم، كما طال من قبل دولة السودان، نبعا لأطماع تلكم الدول بمباركة من أميريكا الراعية لكل هذه

المخططات الجهنمية. ونظرا لشساعة تراب ليبيا وتنوع خيراتها وموقعها الإستراتيجي، كدولة قبالة الدول أوروبا، فإنها لن تعرف استقرارا حتى يحققوا مآربهم.

وفي خضم هذه الأوضاع المتشابكة وجد الإرهاب مجالا فسيحا في ليبيا لمد أخطبوطه وعمله الهدام بكل سهولة.

و مما أعانه على ذلك الفوضى و تفكك الأوضاع و تعدد الجهات المحاولة للسيطرة على الحكم و التحكم بكل الوسائل بما فيها التقاتل و التخريب دون استثناء.

لقد نال من هذه المخططات المسعورة عديد الدول، فذاقت ويلات الإرهاب وعدم الإستقرار.

فلم تسلم لا تركيا ولا لبنان ولا أفغانستان، ولا الهند حتى، مادام الصراع على كشمير قائم.

ولقد عرفت المنطقة قبل فترة ظهور بنقلادش لما قويت فيه النزعة الإسلامية لتنفصل عن الهند.

ومن المعتمدات أو المرجعيات التي تدعي عناصر الإرهاب الإعتماد عليها مع الأسف هو الإسلام.

لكن كل ما يتصل به من تنظيمات ونعوت هي أبعد ما تكون عن الإسلام وفلسفته الراقية ومبادئه السمحة السامية.

وهكذا وجدت الحركات الإرهابية مجالا خصبا لامتداد نشاطها الإجرامي الذي اتخذ من العراق وسوريا منطلقا لها.

و إن من المهازل المفضوحة و الغرائب حقا أن ابتدع أعداء الإسلام لهذه الحركة المريبة إسما رنانا ينخدع به المغرورون السذج، لكن يمس الإسلام في الصميم.

لقد اخترعوا بمكرهم ونكايتهم بالإسلام ما سموه

"الدولة الإسلامية في العراق والشام"، ورمزوا له بعبارة "داعش".

إنه من صنع نفس الجهات التي ابتدعت "القاعدة" كما سبق ذكره.

فأي دولة هذه الخيالية التي يتحدثون عنها؟

وأين المكان الذي تتربع عليه هذه الدولة المزعومة إن لم يكن في مخيلاتهم؟

وما هو نظامها إن لم يكن العمالة لأعداء الإسلام.

ثم أين الإسلام من كل ما يتبجح به هؤلاء الأدعياء؟

أهو التخريب والفساد، أم هو القتل لكل عباد الله رجالا ونساء وأطفالا، دون ذنب، مما يلحق للإسلام وصمة عار، ويثبت ما ينسب إليه أعداؤه من نعوت مخزية مع الأسف.

أهو النيل من الأجانب دون تمييز مما يأجج صدور خصوم الإسلام ويمدهم بحجج إضافية على وحشيته، والحال أن هؤلاء ليسوا منه في شيء، ويعلم الله أنه منهم براء.

هذا وإن ضم العراق والشام في مخططهم الماكر ما هو إلا إشارة خفية لما يرمي إليه هؤلاء الأعداء المناوؤن من تقسيم لهذين البلدين، في شكل أو في آخر، سيتجسد في واقع الأمر إن عاجلا أم آجلا.

ولقد أتى في خصم الفوضى العارمة دور سوريا لزعزعة أركانها، وذلك بتشجيع أي طائفة معارضة على ضربها، لما تمثله من صمود في وجه الأعداء وعلى رأسهم إسرائيل.

فظهرت طوائف عديدة تحت أسماء تنتمي حسب زعمها إلى الإسلام.

فلو كان قصدها مخلصا لوجه الله لاتحدت على الأقل في مقارعة النظام القائم، لكن تطور الصراع و ما أعطى من فرص ذهبية لأعداء سوريا، و أعداء كل دولة لها نصيب معترف به من الحضارة

و التقدم، قد أبان عن حقيقة الأهداف بل الأطماع التي تقف وراء استهداف سوريا خاصة.

إنها تمثل حجرة عثرة أمام تحقيق كل المرامي و الأطماع المخطط لها من طرف القوي المعادية لكل دولة أو جهة تسعى لإثبات وجودها، و لو أدى ذلك إلى إعلان الحرب عليها تحت أية ذريعة مفتعلة، و إقحام المغررين من أبناءها في أتون المعركة.

و من المكائد التي ابتكرها المناوؤن للإسلام ما أقحموا فيه البلدان العربية و الإسلامية في حرب طاحنة بينها بدعاوي مختلفة، من سيطرة على المنطقة و نفوذ مالي و اقتصادي و غيره، لكن تحت غطاء مذهبي مع الأسف، فهذا سني و هذا شيعي ليضحى الإخوة في الدين الإسلامي الواحد أعداء، يستبيح الواحد دم أخيه المسلم الآخر، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

فإلى هذه الدركات وصلت الأمة الإسلامية فصارت مضغة سائغة في أفواه أعداءها، ونال الإسلام جراها كل نقيصة.

فلو اتحدت حقا لمحاربة الإرهاب ومن يقف وراءه من أصدقاءهم الذين ابتكروه و غذوه لكان أفضل لهم و أنبل، خاصة وأن الدولة التي كانت خصما لمن يعتبرونه عدوا، و هي إيران، قد توصلت إلى بعث

شبه طمأنينة في المنطقة بفضل الإتفاق الأخير بينها و بين الدول العظمى المسيطرة على العالم.

لكن الأطماع التي أججتها فيهم تلكم الدول الجشعة دفعت بهم إلى إعلان العداء لإخوان لهم في الإسلام، فناصبوهم العداء مع الأسف، عوض ضم صفوف الجميع أمام الأخطار التي لا تبعد عن استهدافهم في يوم من الأيام. وقديما قيل: أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

إن هذا مما عمق الجرح في اليمن الجريح. فمن صراع في الداخل بين الإخوة الفرقاء، و ما يتجرعه من مآسي جراء كل ما جلبه له هجوم الأطراف المتصارعة فيما بينها، إلى ما يتلقاه من طرف التحالف الذي يسمى بالعربي، و الذي يرمي حسب زعمه إلى دحر طرف لإعادة الشرعية للسلطة هناك.

إن كل ذلك مما يدمي القلب حقا، ويعطي صورة قاتمة عن المسلمين والإسلام الذي أتى أصلا ليوحد الإخوة ويصلح بينهم.

إن الحقيقة التي تستشف من كل ما نعيشه هنا وهناك، وبخاصة في الدول العربية
وبشكل مغاير في الدول الإسلامية، هو تفكيكها وإعادة هيكلتها بعد إخضاعها بكيفية تشبه تقليم الأظافر، لكي لا تقوم قائمة لأية محاولة مهما

يكن مصدرها لبعث النهضة،
و دعم الصحوة الإسلامية في اعتدال و عدل و وفق التعاليم المحمدية الناصعة.

هذا ولم تسلم دول إفريقيا من هذا الويل إذ استعمل الدين للتطاحن بين المسيحيين
والمسلمين، ثم بين كل طائفة بعد ذلك نظرا لرهافة شعور المواطنين نحو هذا العنصر الأساسي في أعماق المجتمع.

فكما هو معلوم إن هذا الوتر حساس، و للدين كامل الإحترام و التقدير من طرف كل المكونات العريقة لشعوبها، و ما أشد تشبثها به خاصة و أن الإنتماء العرقي لديها لا يزال قويا و مثارا للنعرات بكل سهولة.

وهكذا اكتوى السودان بهذه المكيدة فعرف التقسيم إلى شمال وجنوب، إنقسام على أساس الدين.

ولا تزال نار الفتن مشتعلة فيهما و بينهما و الإرهاب يخربهما رغم كل المحاولات الأخوية و الدولية المتعددة.

ولقد امتدت الشرارات إلى دول مجاورة مثل نيجيريا خاصة ثم جمهورية مالي وغيرهما من الدول في إفريقيا.

و لا يدري المتتبع ما يخبأه الغد.

هذا وإن أي مسلم غيور ليتحرج بل ليشمئز من ذكر مختلف الأسماء التي يضفيها المغرضون على الحركات المختلفة مقرونة بالإسلام.

إن ترديدها ليعد من قبيل الترويج لها أو الإعتراف بها.

ولعل أخطر الأمثلة ما أصبحت وسائل الإعلام المختلفة، وحتى البعض من العربية والإسلامية نكرره من العبارة الجارحة "الدولة الإسلامية".

ولعل الدارس المتمعن في كل هذه الأوضاع على اختلافها ليدرك مدى التخطيط المحكم لأعداء الإسلام والمسلمين خاصة، فوجد من أبناءهم شرذمة عميلة من المتعطشين للسلطة والإنتقام، وللفساد والثراء السريع الفاحش ولو على حساب وطنهم وأهليهم.
وما درأوا أن يوما سيأتي فيه دورهم ليضحي بهم من هو اليوم يخطط لهم لتدمير أوطانهم.

إنهم سيلقون جزاءهم ومصيرا مثل الذي لقيه "بن لادن".

و إمعانا دوما في محاولة المساس بمقدسات الإسلام تجرأ الأعداء و أقدموا حتى على القدح في الرسول الأعظم برسوم ساخرة، في خطوة تنم على سفالتهم و غياب قيم يدعون الإنتساب إليها، من ديمقراطية و

حرية في الفكر و المعتقد، و يعيبون على غيرهم عدم اعتمادها في بلدانهم، لكنه الحقد الدفين و التحامل على الإسلام الذي بدأ ينتشر حتى في بلدانهم، لما لمس فيه المنصفون من بعد حضاري و ملائمة للحياة في أوضاعها الراهنة المتطورة، و التي طغت عليها المادية المتوحشة.

إن مثل تصرفاتهم الخرقاء هذه وما صاحبها من دعايات مغرضة ومضللة قد أفرزت سلوكات عدوانية متطرفة لديهم، ظهرت آثارها في الإعتداءات الإرهابية المتكررة والمختلفة على المسلمين ورموزهم، وعلى كل من يشتم فيه الإنتساب إليهم.

إن كل هذا الجو المشحون قد دفع بالمغامرين إلى استهداف الدول الغربية نفسها في عقر ديارها، فذاقت من ويلات الإرهاب الذي دبرته لتخريب غيرها، فأصبحت تعيش ظروفا جديدة أقلقتها، فأضحت في سلسلة من الإجراءات والتدابير غير مسبوقة مما أربكها
وزعزع استقراها، بل وعزز جانب الأحزاب اليمينية المتطرفة لتكون خطرا حقيقيا عليها وعلى ديمقراطيتها المزعومة.

هذا من جهة، لكنها من جهة أخرى لقد اتخذت هذه الأوضاع ذريعة قوية لتجد المجال فسيحا لتدخل سريع في عدة مناطق من العالم، وفي كل مناسبة كان الأمن حسب زعمها مهددا من طرف الإرهاب.

و هكذا تتمكن من مواصلة تسويق أسلحتها الفتاكة المختلفة، و إعادة بسط نفوذها في الدول التي كانت تستعمرها أو لها نوايا في استغلال خيراتها الوفيرة، ما دامت هذه لا تتوفر على المستويات التقنية الحديثة للقيام بذلك لوحدها.

وهكذا تتضح جلية حقيقة الأبعاد لكل هذه الضجة حول الإرهاب، ومدى اعتماده من طرف المستعمرين القدامى خاصة ومن يساندهم مثل إسرائيل، ويصفق لخططهم من المستضعفين، ومنهم بعض الدول العربية والإسلامية، فتحققت عودة قوية لهم بل وأقوى مما يأملون.

إن ما وصلت إليه همجية الإرهاب من أضرار مست العديد من الجهات والمنشآت،
وزهقت جراها أرواح غالية وتركت آثار كارثية، جعلت المسؤولين آنذاك يفكرون في حلول من شأنها تجاوز هذه المحنة الخطيرة والأزمة المهددة لكيان الأمة والمجتمع بالتفكك.

فبالنسبة للجزائر مثلا برزت مبادرات متعددة كانت أولها قانون الرحمة، لكن أطرافا متشددة لم تكن مقتنعة بالفكرة، بل عدتها نوعا من الضعف أمام تلك العصابات الآثمة التي يجب دحرها حتى تنقلب الأوضاع لصالح السلطة، مالكة القوة. فاقترحت تشديد الخناق على تلك العناصر المجرمة. فلم تفلح الإتصالات ولا المساعي التي كان من

المفروض تهدئة الأوضاع وجلوس الجميع حول طاولة للنظر في المسائل العالقة، علها تجد لها حلولا من شأنها نزع فتيل الفتنة فتعود الطمأنينة للنفوس، فبقيت العمليات الإرهابية المخربة من حين لآخر مستمرة بل وأشد في بعض الأحيان.

ومع انتخاب المجاهد عبد العزيز بوتفليقة لرئاسة الجمهورية، تطورت الفكرة نحو الوئام المدني فالمصالحة الوطنية، فكانت هذه الخطوات الجريئة والبعيدة النظرة بمثابة عملية قيصرية، لكنها أكثر من ضرورية للقضاء على هذا السرطان الذي أصبح ينهك قوى البلاد ويبدد جهود العباد.

إن اعتماد هذا الخيار الصعب لم يمكن تحقيقه إلا بعد توعية وتعبئة لكافة القوى الحية في الوطن. و لا أدل على النتائج الإيجابية لها من التزكية العارمة للمشروعين الذين تقدم بهما الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ،رغم ما كانت تقاسيه أطراف متعددة من ويلات ما أصابها في نفوسها، و أرواح أعزاءها و مختلف أملاكها، بالإضافة ما تكبده الوطن من خسائر في أفراد الشعب و بخاصة أفراد الجيش و مختلف أسلاك الأمن.

ولقد بدأت هكذا تجني الجزائر ثمار هذه التضحيات الغالية، عافية وأمنا، تدعمه برامج تنموية طموحة عمت كافة أنحاء الوطن، مما أعاد

للجميع الثقة، ودفع به إلى البناء والتشييد بقوة وعزم، على ما في الأوضاع المعقدة جهويا ودوليا من خطورة وتعقيدات.
ولعل آخرها ولا أقلها خطورة تهاوي المداخل التي تجنيها الجزائر من المحروقات التي تعد المورد الأساسي الممول لاقتصادها وأغلب مشاريعها التنموية.

إن هذه السياسة الرشيدة للقيادة الجزائرية وعلى رأسها الرئيس المجاهد عبد العزيز بوتفليقة، وتجربتها في محاولة القضاء على الإرهاب وأسبابه، قد أكسبتها خبرة رائدة،
وحنكة في مقاومة الإرهاب ومختلف مظاهره، كما دعمت توجهاتها وقناعاتها في التعامل الذكي ومحاربة مع ما أفرزته ظاهرة الإرهاب، من دفع الفديات والتفاوض مع العناصر الإرهابية التي تحاول الإبتزاز والإرتزاق، بشتى وسائل الضغط والتخويف والتعدي والتخريب والقتل بالسيارات المفخخة وغيرها.

هذا ويبقى الإرهاب في الآونة الأخيرة هاجسا فضيعا لما وصل إليه من انتشار هنا وهناك، بغض النظر عن بواعثه و أسبابه القريبة و البعيدة خاصة بالنسبة لمن التحق بصفوف هذه المنظمة الإجرامية.

وهذا إضافة إلى ما أشرنا إليه في البداية من أطماع توسعية لدول تبحث عن فضاءات جديدة لها وبخاصة تلك الدول الإستعمارية القديمة.

لقد استغلت الأوضاع المتردية لبعض الدول الحديثة و الفقيرة، كما ضربت أطراف مغرضة أخرى على الوتر الديني الحساس و بخاصة الدين الإسلامي، و على تنوع الأعراق و المشارب، فوجدت في تكاثر الأسلحة المختلفة و المتطورة، و انتشار تجارة المخدرات قوة، صار الإرهاب من الوسائل التي اعتمدها لبلوغ الكثير من الأهداف، و في أسرع الآجال و أضمن النتائج المادية المختلفة.

لقد أضحى أكثر من الواجب التصدي لكل مظاهر الإرهاب بقوة و في اتحاد
و تنسيق لكافة الجهود، إذ أصبح خطره مهددا للجميع دون استثناء.

وما نعيشه سواء في دول إفريقية أو آسيوية أو أميريكية،

وبخاصة في الشرق الأوسط إلا دليل قاطع على انتشار هذا الأخطبوط الغريب.

أما مظاهر انعكاساته أخيرا والمخاطرة بالهجرة نحو الغرب، ولو بركوب أهوال البحر للجوء إلى أوطان مستقرة نسبيا، فهي لا تعدو أن تكون إرهاصات لما يتهدد كافة دول العالم جراء استفحال هذه الظاهرة الخطيرة، والتي لا تبقى في الحدود المخطط لها في البداية لكنها ستتسع شيئا فشيئا.

لذا يجب على الجميع متحدين تنسيق كافة الجهود لمكافحة هذا الإرهاب في شتى أشكاله. فقد بات يتسع ويتطور في أساليبه الجهنمية فجرائمه أصبحت عابرة للقارات،
وتستعمل حتى وسائل الإتصال العلمية الحديثة لتنويع أوجه التخريب والدمار.

فلا بد إذن من اليقظة باستمرار لتشديد الخناق على كل ما تعتمده هذه الظاهرة، ظاهرة الإرهاب من أساليب مختلفة، واعتماد العقوبات المغلظة للتقليل من مضارها، والعمل على تجفيف منابعها للتوصل إلى القضاء عليها.

وإلى جانب هذا الوجه القانوني فإن مختلف قوات المجتمع وعناصر الجيش والأمن مدعوة للتجند للقضاء على الإرهاب، وكشف المتعاملين معه دون هوادة.

كما يجب على القوات المعنية حراسة ومراقبة كل نواحي الوطن، وتعقب كل جيوب الإرهاب، نظرا لشساعة وطن مثل الجزائر والطمع في موارده وثرواته المختلفة، وبالنظر إلى الأخطار المحدقة به من مختلف الحدود خاصة ليبيا المجاورة، وما تعيشه من فوضى وانتشار مختلف الأسلحة واستغلال عناصر الإرهاب المتعددة لكل تلكم الأوضاع المتردية.

فإذا ما رام العالم تقدما وازدهارا وتنمية، فلا بد من العمل بجدية وتنسيق محكم لاستتباب الأمن والإستقرار، لتظهر نتائج أي مجهود مهما كان متواضعا، إذ أن الجميع يتفق في صعوبة البناء والتشييد في حين أن أدنى شرارة، لا قدر الله، قد تأتي على جهود أجيال وأجيال من المشيدين في رمشة عين.

فالإستقرار والهناء يوفر أغلى ظروف البناء وتعميم الرخاء، وهذا ما ينشده كل عاقل غيور على وطنه ومستقبل أبناء شعبه خاصة إذا ما قدر للتضحيات الجسام والأرواح التي قدمها الشهداء الأبرار والأبطال والمخلصون من البررة حق قدرها، وتذكر كل الجهود المبذولة لبلوغ الأهداف، رغم بعض النقائص التي لا يخلو منها أي عمل بشري، فالتقييم يبقى دوما نسبيا والكمال لله وحده.

وفي الختام أما آن الأوان للدول الإسلامية والعربية خاصة أن تستفيق فتتفطن للمكائد والدسائس التي يدبرها لها الأعداء، فلا تقع في حبالهم وتسير في مخططاتهم وتحقق لهم مآربهم، فتدمر بالتالي مستقبل أبناءها وترهن خيراتها وتبقى رهينة بين أيدي أعداءها.

ومتى تتصدى نخبهم لتصحيح النظرة نحو الإسلام، و تبسط أمام الجميع تعاليمه السمحة، و سمو أخلاقه التي بفضلها غزى القلوب فتفتحت له، و اعتنقته عن رضا و طواعية.

ومتى تتجند هذه الطاقات لتقريب وجهات النظر بين مختلف المذاهب، ما دامت كلها مدارس فقهية فقط، تستلهم أحكامها من النبع الصافي الوحيد وهو القرءان المجيد والسنة المطهرة.

فلا داعي إذن للخصام واتهام بعضها البعض بنعوت وصفات تغذي الصراعات التي يرمي الأعداء إلى إثارتها، إلى أن نجح فصار الإرهاب وصمة يتهم بها بعضها البعض، ويتراشقون بها عبر وسائلهم الإعلامية، فأصبح يتخذ ذريعة لشن الغارات والتقاتل بينها، عوض التكتل معا للإصلاح بين الإخوة في الدين الواحد، وللقضاء على ذلكم الإرهاب الذي هو المصيبة العظمى.

فقد توصل أعداء المسلمين جميعا إلى ابتداعه ورعايته لتحقيق مخططاتهم.

إنه أبعد ما يكون عن الإسلام الذي يدعون الإنتساب إليه بل هو الإجرام بعينه.

فلذلك مرة أخرى يجب على المسلمين كافة أن يتبرؤوا منه، ويعلنوا ذلك للمللإ ليكون على الأقل أضعف الإيمان في محاربته.

فإذا ما رام المسلمون إعادة العزة للإسلام أو إقراره في ديارهم، بعد أن عمل المستعمرون مختلف وسائلهم الهدامة على طمسه و محاربته،

فليس بالتحمس و العمل العشوائي المرتجل، و إنها بتبصر و عمل مدروس رصين، عله يحقق الآمال و يبلغ المقاصد.

إنه المخطط العقلاني الحق، و ليس بالمستحيل إذا خلصت النوايا و صدقت العزائم، و ما ذلك على أهل الهمم العالية ببعيد المنال، و لا على الله بعزيز.

العطف يوم فاتح ماي 2016

عبد الوهاب بكلي

وزير سابق